

الشباب وإشكالية الاندماج الاجتماعي

الأستاذ - مومن محمد*

* المعهد الملكي لتكوين أطر الشباب والرياضة الرباط، المملكة المغربية.

ملخص

نسعى من خلال هذا المقال إلى طرح بعض الأسئلة وإثارة بعض الإشكالات النظرية والمنهجية، والتنبيه إلى بعض المشكلات الواقعية المرتبطة بأوضاع الشباب وإشكالية اندماجهم الاجتماعي، ليس فقط بالنسبة للمجتمع المغربي، و لكن أيضا بالنسبة للمجتمعات العربية والثالثة.

الكلمات المفتاحية : الشباب - المجتمع - التنمية - الاندماج الاجتماعي.

معطيات و مفاهيم أولية حول الشباب

إن موضوع الشباب و قضاياها يستقطب اهتمام الجميع و يشغل بال الحكومات والأحزاب والجمعيات، كما يهتم به الأفراد و المؤسسات، ويعتني به رجال السياسة والاقتصاد والإعلام، كما يعتني به المربون وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وغيرهم.

وهكذا، فإن ما نستهدف التركيز عليه في هذا الباب، هو طرح بعض الأسئلة وإثارة بعض الإشكالات النظرية المرتبطة بأوضاع الشباب بشكل عام، والشباب المغربي بشكل خاص.

يمكن القول إذن، بأن البحث في إشكالية الشباب واندماجه الاجتماعي التي نقترحها للدرس والمناقشة ضمن محاور هذا المقال هي ولاشك من الإشكاليات الأساسية والحساسة، إذ أنها تمس حاضر ومستقبل مجتمعاتنا، وأن هذا المستقبل رهين بالدور الذي ستؤديه فئات الشباب في التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. و يكفي إلقاء نظرة على البنية الديموغرافية لمجتمعاتنا، وعلى ديناميكيتها المستقبلية في أفق سنة 2020، وما بعدها لكي نلمس ثقل الفئة

الشابة في هذه البنية، وجسامة الرهان الذي يواجهها جميعا، و الذي يحتم استنفار كل الطاقات والإمكانات والإرادات. فمن الشائع على الصعيد الديموغرافي اعتبار السن 15 و 25 سنة هي مرحلة الشباب، وهو التحديد المعتمد عربيا ودوليا. إلا أن التحديد الديموغرافي يظل شكليا محضا ولا يطرح بالتالي القضية الفعلية لظاهرة الشباب المعاصر. "وهذا ما يعطي للمقاربة السوسيولوجية لمفهوم الشباب وجهة نسبية مقارنة مع المقاربة العمرية السيكولوجية التي تشغل تحديدا على المراهقة واضطراباتها النفسية. ليبقى الشباب مجرد كلمة (la jeunesse n'est qu'un mot) على حد قول "بيير بورديو". وذلك اعتبارا للصعوبات التي تطرحها مسألة التعريف ذاتها. ولعل هذا ما جعل "بيير بورديو" يعتبر الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدودا اعتباطية. فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدر أين ينتهي الفقر ليبدأ الثراء"¹. وهذا يعني أن الفئات العمرية هي بالضرورة نتاجات اجتماعية، تتطور عبر التاريخ وتتخذ إشكالا ومفاهيم معينة، ارتباطا بالأوضاع والحالات الاجتماعية. وأن كل تعريف اجتماعي للشباب يظل مرتبطا بشروط إنتاجه الاجتماعية².

إن الأرقام والإحصائيات، وإن كانت معبرة في حد ذاتها تظل مجردة، لأنها لا تعكس بكل دقة شروط الواقع المعيش وقساوة الظروف التي تعاني منها فئات واسعة من شبابنا المغربي والعربي ذكورا وإناثا.

وهكذا، فإن البحث في قضايا الشباب يطرح على الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية عدة إشكالات نظرية و منهجية يمكن إبراز الأساسيات منها في النقاط الآتية:

إن الشباب في أي مجتمع لا يشكل شريحة أو فئة اجتماعية متجانسة سواء فيما يتعلق بمكوناتها، أو بانتمائها الاجتماعي الطبقي أو بارتباطاتها الثقافية... إلخ. ومن هنا، فإن البحث في هذه المسألة يطرح العديد من التساؤلات الإشكالية الأساسية، نذكر من بينها ما يلي:

¹ Pierre Bourdieu, la jeunesse n'est qu'un mot en question de sociologie, Ed. minuit, Paris, 1984, p 143.

² - د. عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا الشباب المغربي- جدل الإدماج و التهميش ، طبعة أولى، طوب بريس، 2004 ، ص13.

- حينما نتحدث عن الشباب، فما هي الفئة المعنية بالتحديد من هذا الحديث؟ هل نقصد الشباب القروي أم الشباب الحضري؟ الإناث أم الذكور؟ المتعلمين أم الأميين؟ وهل شباب الأوساط الاجتماعية المسورة والمحظوظة أم شباب الأوساط الضعيفة التي تعاني من مشاكل التهميش والاستبعاد؟ وغيرها من التساؤلات المماثلة.

- هناك مسألة أخرى متعلقة بإشكالية التحديد الدقيق للفئة العمرية التي ينطبق عليها مفهوم الشباب، وذلك بالنظر إلى الاختلاف في المنظورات والسياقات الاجتماعية المتباينة في هذا الشأن. فهناك من يحدد مرحلة الشباب في السن المتراوح ما بين 15 و 25 سنة، وقد نجد تحديدات أخرى مخالفة. وعلى أي، فإننا حينما نريد تناول الشباب، لا بد أن نعترضنا مشكلات منهجية من هذا النوع.

إن ما نود التأكيد عليه في هذه المعطيات الأولية حول قضايا الشباب هو تعدد وتعدد وتداخل الأبعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية... ولذلك يصعب إعطاء صورة شاملة لكل الجوانب المتعلقة بهذه المسألة. ويبقى هدفنا فقط هو إثارة بعض الإشكالات وما يترتب عنها من تساؤلات نظرية ومنهجية، ومن قضايا اجتماعية، تربوية و ثقافية... إلخ.

بعد هذا التقديم الذي حاولنا فيه القيام بطرح إشكالي أولي لأهم العوائق والصعوبات التي تعترض البحث في قضايا الشباب وإشكالاته.

سننتقل إلى مناقشة بعض أهم عناصر هذه القضايا الشاغلة، مركزين بالخصوص على إشكالية الاندماج الاجتماعي للشباب، وذلك من خلال المعطيات الأساسية التالية.

أولاً: الشباب والتحول الاجتماعي المعاصرة

اعتماداً على المنظور الاجتماعي التاريخي، يمكن القول بأن قضية الشباب في مختلف أبعادها ودلالاتها قضية مرتبطة أساساً بالتحويلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ التي عرفتتها المجتمعات المعاصرة. لقد كانت المجتمعات التقليدية لا تجد صعوبة كبيرة في تأهيل الشباب واحتوائهم وإدماجهم في النسق المجتمعي العام عبر مؤسسة الزواج، والانخراط المبكر في العمل الإنتاجي، و تقلد بعض المسؤوليات الحياتية... أما المجتمعات المعاصرة، فنظراً لتعدد بنيتها نتيجة

ما عرفته من تطور حضاري كبير، أصبح الاهتمام بالشباب و بشؤون تعليمه وتربيته وتكوينه وتأهيله للاندماج الاجتماعي مسألة حاسمة. فمن الناحية الاقتصادية، أصبح ينظر إلى الشباب كرأس مال بشري هام يجب استثماره بشكل عقلاني مخطط تلافيا لأي هدر أو ضياع مجاني. وفق هذا التوجه تم تطبيق الرأسمال البشري في مجال التعليم و التكوين كميدان لتنمية واستثمار الموارد البشرية في المجالات الإنتاجية والتنظيمية الملائمة لمستوى ونوعية مؤهلات الشباب التعليمية والتكوينية. و من بين العوامل المؤثرة في هذا النطاق، المعادلة المفقودة بين النظام التعليمي والتربوي بجميع أسلاكه، وأنظمة التكوين التقني والمهني من جهة، و سوق العمل والتشغيل من جهة أخرى، و ليس من السهل فك هذه المعادلة أو تحديد ميكانيزماتها دقيقة تضمن الانسجام المطلوب بين النظام التربوي ونظام الإنتاج. لأن هذا الانسجام وإن ظل هدفا منشودا من طرف جميع الجهات المعنية بقضايا التعليم والتكوين يتطلب عمليات معقدة، صعبة وشائكة ما يزال النقاش مفتوحا حول نوعيتها وطبيعتها. "إن تحقيق التوافق الوظيفي بين التعليم والتكوين ومتطلبات الحياة العملية يثير كثيرا من التساؤلات حول السياسات العمومية والتعليمية ببلدنا وبلدان العالم العربي، ويستلزم تغيير كثير من العادات والسلوكات والمواقف والعقليات"³.

إن الخطاب حول الشباب، غالبا ما يكشف عن كثير من المفارقات. فهو خطاب يمجّد طاقات الشباب الخلاقة أحيانا، و يلوح أحيانا أخرى بالمخاطر التي تهدد المجتمع من جراء اختلال توازن الهرم الديموغرافي.

والواقع ان المشكل لا يقف عند تبني نظرة تفاعلية أو تشاؤمية، و إنما يتجسد في البحث عن معادلة ترسيم سيورة آليات اندماج اجتماعي خلاق، لأن البنية الديموغرافية المغربية والعربية تفرض احتميات لا ينفع في مواجهتها سوى استنفار كافة الطاقات والإمكانات والإرادات⁴.

وفي هذا السياق، يبرز البعد الذي يهمننا أكثر من غيره و يتعلق بآليات الاندماج الاجتماعي. فالاهتمام بالبحال الثقافي وتوظيف الوقت الحر، ليس من قبيل الانسياق مع موضوعة العصر، و إنما هو اهتمام يجد جذوره في عمق تاريخنا الثقافي. وفي هذا الإطار، يبدو الانفتاح الثقافي هو الاختيار

³ ندوة: الشباب و المجتمع في البلدان المغاربية، 11 - 13 دجنبر 1991، منشورات كلية علوم التربية، الرباط.

⁴ نفس المرجع السابق.

السليم. وأن "الإبداع و الممارسة الثقافية ضرورة أساسية لتشكيل وبناء وتطور المجتمع المدني في أشكاله الرمزية و المادية و أيضا السياسية. إن أهم شيء يميز المجتمع المدني هو دعوته لإشراك كل الفعاليات في عملية التأسيس والتشكيل المستمر لهذا المجتمع في نطاق ديمقراطي يبني على الشرعية انطلاقا من القوانين القابلة للتطور، كما انه يقوم على المشروعية".⁵

ومن هنا، نفهم لماذا أخذت المجتمعات المعاصرة المتقدمة تولي عناية كبرى لمشاكل الشباب ومطالبهم وحاجياتهم و مواقفهم الفكرية والسياسية، وتعمل ألف حساب لذلك في مختلف الإصلاحات الاجتماعية و الممارسات السياسية والثقافية والتخطيطات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

وإذا كانت المجتمعات الغربية الحديثة قد حصل لديها نوع من الوعي بالدلالة الحضارية والتاريخية لأزمات الشباب و الاعتراف بأنها ليست فقط أزمات هوية ذاتية خاصة بالفئات الشبابية المعنية، بل هي أزمة هوية حضارية وأزمة مشروع مجتمعي بأكمله، فإنها لم تقف عند حدود هذا الوعي والتنويه به، بل حاولت أن تبلور إستراتيجية تنموية وتحديثية فعالة، بهدف خلق آليات جديدة وعقلانية لاستدماج مختلف الشرائح الشبابية ضمن هياكل وبنيات النسق المجتمعي العام، وتسخيرها كطاقات بشرية متعددة في سيورات البناء الهادف للمجتمع. غير أن مجتمعات العالم الثالث، والتي يمثل المجتمع المغربي نموذجا لها، ما تزال دون مستوى ما وصلته المجتمعات الغربية في سيورة احتواء عناصرها الشابة، ومعرفة مشاكلها وتأهيلها وتوجيهها في إطار سياسة تربوية تنظيمية وتكوينية فعالة وهادفة.

وهكذا تبقى حالة المغرب كبلد عربي إسلامي متسم بخصوصيات تاريخية وحضارية معينة، يتميز بأحد المعطيات السوسولوجية الدالة هو أنه بالنظر إلى تركيبته الديموغرافية، مجتمع شباب مما يعد ميزة ورهانا في نفس الوقت، فالميزة أن المغرب بلد زاخر بالطاقات الحية، والرهان هو الحاجة إلى الاستثمار الأفضل لهذه الطاقات وحشدها بالإمكانات والقدرات لتمكينها من فرص النجاح، والاستفادة منها لغد أفضل. فأحدث الإحصاءات الرسمية تؤكد أن عدد المغاربة الذين لا تتجاوز

⁵ د. رشيد بكاج، الطفل أي مشهد سوسيوثقافي؟ الندوة الوطنية الخامسة، الطفل المغربي إلى أين؟ منظمة الكشف المغربي، (غير مؤرخة).

أعمارهم 30 سنة يمثلون أكثر من 75% من مجموع السكان، بينما تتجاوز نسبة البالغين 20 سنة 56% من نفس المجموع. ولاشك ان هذه المعطيات الرقمية دالة ومعبرة، إلا أن هذه الموارد البشرية تبقى في مجملها محرومة من فرص المشاركة والابتكار والفعل الايجابي في حركة التغيير الاجتماعي وعرضة لمشاكل البطالة والتهميش والهجرة العشوائية والانتظار...

ثانيا: الشباب والاندماج الاجتماعي

إن مسألة إدماج الشباب في مفهومه السوسولوجي الشمولي ضمن السياق الاجتماعي العام، وتلبية مطالبه و حاجاته الروحية و الثقافية و المهنية والقيمية تشكل الهم الشاغل لكل الأنظمة الاجتماعية. ذلك أن هؤلاء الشباب ظلوا مستبعدين. يستهلكون مشاكلهم ومعاناتهم ويراكمونها. ويمكن القول أن أسس هذا التهميش و عوامله لا النسبة للشباب المغربي فقط، ولكن للشباب العربي والثالثي بشكل عام يمكن إجمالها فيما يلي:

1- غياب الديمقراطية الشاملة للتربية والتعليم والتكوين

ونعني بذلك أن نظامنا التربوي التعليمي لم يصل بعد إلى مستوى تحقيق تكافؤ الفرص بين الذكور والإناث من الشباب، وبين القرويين والحضرين منهم، وبين أبناء مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية. ويعود هذا الوضع بالنسبة للمجتمع المغربي خاصة إلى عدة اعتبارات سياسية واقتصادية ترتبط بالتوجهات التنموية والاجتماعية العامة، وتوافقها وتصورتها للحلول الملائمة بما يدعى ب "المسألة الاجتماعية" في مختلف أبعادها وجوانبها⁶.

2- عدم التطابق أو التكامل بين أنظمة التعليم والتكوين من جهة، وبين قطاعات المجتمع بشكل عام من جهة ثانية

ذلك أن أغلبية مضامين التعليم والتكوين لم تعد في الظروف الراهنة ملائمة لمتطلبات سوق الشغل ومجالات الاقتصاد، بل وحتى لبعض المستجدات الفنية والثقافية والحضارية والاجتماعية.

⁶Jamil Salmi, Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc, Ed.Maghrébine, Casablanca,1985.

أما على المستوى السوسيوثقافي، فإن من أبرز تجليات واقع الإبعاد والإقصاء الذي يعيشه الشباب ما يلاحظ في صفوف الشباب من مظاهر الانحراف في مدلوله الاجتماعي العام، سواء تجسد هذا الانحراف عمليا في سلوكات الاجرام، أو تناول المخدرات... أو ظل على مستوى القيم والمعتقدات والتمثلات... التي يحملها الشباب المهمش. وهكذا أصبحنا نلاحظ في صفوف الشباب انهيار عالم من القيم الروحية والثقافية والاجتماعية الايجابية واستبدالها بقيم الأنانية والفردانية والمصلحة الخاصة وقيم الزبونية والمحسوبية. هذا، فضلا عن تفاقم إحساسهم بالضياع، وعدم الثقة في المستقبل، وفقدان الشعور السليم بالهوية الفردية أو الوطنية أو القومية. و يعني هذا غياب كل القيم المنتجة التي من شأنها أن تجعل الشباب أكثر استعدادا للمساهمة الفعالة في المسار التنموي للمجتمع.⁷

3- غياب سياسة ثقافية واعية

من بين أهم عوامل تهميش الشباب على المستوى الثقافي سواء على الصعيد المؤسسي أو غير المؤسسي، ما يمكن نعتة بغياب سياسة ثقافية واعية ومتفهمة لهوموم الشباب واهتماماته وتطلعاته و أزماته القيمة والفكرية والإيديولوجية والحضارية. هذه السياسة التي ينتظر منها أن تعمل عن تحسيس الشباب بمكانته ودوره الفعال، وجعله من الناحية الثقافية أكثر قدرة على المشاركة الإيجابية وأكثر وعيا بأوضاعه و بواجباته و مسؤولياته وبواقعه الاجتماعي المعيش. فمؤسسات الشباب أو ما يسمى بدور الشباب " maison des jeunes " أصبحت عاجزة عن احتواء الشباب وإقناعه واجتذابه وأصبحت بعيدة كل البعد عن أن تشكل المجال المناسب لاحتضان مواهبه وقدراته الابتكارية وتمييزها وتوجيهها. ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة "للمؤسسة المدرسية التي تحولت بالنظر إلى شروط إنتاجها وإعادة إنتاجها، إلى مؤسسة إقصاء، وليس مؤسسة إدماج اعتبارا للهدر المدرسي، والفشل الدراسي وعطالة خريجها وعسر اندماجها في سوق الشغل"⁸.

⁷د. عبد القادر الزغل، الشباب العربي: مشاكل و آفاق مجلة المستقبل العربي، بيروت، عدد 48، 1983، ص76.

د. محمد مومن، دور الأسرة في التحصيل الدراسي، الطبعة الأولى: فبراير 2017، المطبعة: طوب
⁸بريس، المغرب ص124.

وإذا أضفنا في الاعتبار عنف الغزو الفكري لوسائل الإعلام المحلية والدولية لمجتمعاتنا العربية والثالثة، والذي يتمثل فيما تنقله من رموز ثقافية وحضارية غريبة ساحرة مثل نمط العيش (mode de vie) وأساليب الاستهلاك... إلخ أدركنا لماذا تظل مؤسساتنا التربوية والثقافية المختلفة بعيدة عن تحقيق ما ينتظر منها من أهداف تتعلق برعاية الشباب وتوجيههم وتأطيرهم ثقافيا واجتماعيا⁹.

4- غياب مساهمة الشباب في الشأن السياسي

في المجال السياسي، غالبا ما يلاحظ أن هناك تهميشا مضاعفا للشباب. وهكذا فأغلب المؤسسات والأجهزة السياسية، ما تزال تتسم بالعديد من الممارسات التقليدية التي من شأنها أن تساهم بشكل أو بآخر في إقصاء الشباب من المشاركة في عملية "الإثراء السياسي" الذي أصبح يشكل المركز الأساسي لكل تنمية اجتماعية شاملة. ولعل من أبرز تجليات هذا الوضع هو ما تتميز أنماط السلوك السياسي من هيمنة شبه مطلقة للزعامات التقليدية، والافراد بسلطة اتخاذ القرار و تهميش الجماعة، وتغييب ديمقراطية المساهمة الايجابية للطاقات الشابة المتوفرة، سواء على مستوى التوجيه الفكري و الإيديولوجي للعمل السياسي، وعلى مستوى الفعل والانجاز وتحمل المسؤوليات والمهام التأطيرية والاجتماعية. ويمكن ان نفسر سوسيولوجيا، هذه الوضعية ليس فقط في المغرب بل بمجتمعاتنا العربية خاصة، بما يلي:

-إن الشباب يشكلون دوما قوى اجتماعية تنبثق منها بذور التغيير والتجديد والتطوير الاجتماعي والثورة على الوضع القائم والطموح نحو المستقبل. ومن ثم، فإن الحراك الشبابي وما أسفره من انتفاضات ساهم و لأول مرة، في تقليص المسافة الفاصلة بين الخيال الجمعي وبين الواقع السياسي، لدرجة أنه لا أحد كان سيصدق أن أياما معدودة كانت كافية للإطاحة بأنظمة مارست التحكم والاستبداد لعقود طويلة عايشت فيها المجتمعات العربية من أعطاب في الديمقراطية و من تداعيات التنمية المعاقة. و" أن هذه المظاهر الاحتجاجية و الانتفاضات الشابة التي أصبحت تعرفها المجتمعات العربية (مصر- تونس نموذجاً) ظهرت في إطارها ظاهرة ما يسمى

⁹ د. عمر التومي الشيباني، الأسس النفسية و التربوية لرعاية الشباب، دار الثقافة، بيروت، 1973.

ب "حرق الذات" (حالة البوعزيزي بتونس). حيث عن طريق هذه الظاهرة -حرق الذات- توجه رسائل قوية للدولة الأمنية مفادها: إن كنتم تقتلوننا ببطء، فإننا مستعدون للموت بواسطة الحرق الذاتي حالا، و بدون تأخير، و أصبح العديد من الفئات الشابة مقتنعين بأن الدولة الأمنية مجهزة بكل أصناف الأسلحة وأدوات المراقبة و الضبط و القمع، لكنها لا تملك سلاحا فعالا لمواجهة حرق الذات¹⁰.

و هكذا تبرز قضية الشباب في عالمنا العربي بمثابة ظاهرة تسير باتجاه التفاقم. "إذ لم تعد مرحلة الشباب تقتصر على النضج العام، بل هي تطرح ذاتها على الصعيد الاجتماعي وتبرز أزمة الشباب تحديدا في هذه الفترة المستجدة تاريخيا واجتماعيا بسبب تزايد تبكير النضج العام من ناحية، وتزايد تأخير اكتساب العضوية الاجتماعية الكاملة من الناحية المقابلة، مع تزايد حدة وعي الشباب بواقعهم المأزوم نتيجة للنضج الأكثر تبكيرا، وولوج عالم العمل والعضوية الاجتماعية الكاملة الأكثر تأخيرا. ذلك ما يعرف مرحلة الشباب راهنا، ويجعلها تقفز إلى صدارة الاهتمام البحثي والتخطيط للسياسات الاجتماعية"¹¹.

أما على الصعيد الوطني، فإن "قضية الشباب" في مجتمعنا المغربي لا يمكن تفسيرها فقط بالدلالة البسيطة لصراع الأجيال في أبعاده النفسية والثقافية والتربوية، أيضا بما يحيل إليه هذا الصراع من خلفية سياسية وإيديولوجية واجتماعية... ذلك أن هناك بالفعل صراعا اجتماعيا بين شرائح وفئات مستفيدة من أوضاع اجتماعية وسياسية معينة، وبين قطاع عريض من المجتمع مشكل من الفئات الشابة لا تستفيد من نفس الأوضاع القائمة. ولذا، فإن الشباب ونظرا لكونه كما سبق القول يحمل توجهات تغيرية، فإنه غالبا ما يستبعد لأن مصالحه تتناقض بالضرورة، مع مختلف الفئات التي تجد الوضع القائم حفاظا على أوضاعها وأدوارها ومواقعها ضمن التراتبية الاجتماعية السائدة وبالتالي حفاظا على مصالحها الآنية و المستقبلية¹².

¹⁰ د. عبد الله الخياري، الحراك الشبابي العربي و تحولات المرجعية الثقافية، أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد مصطفى القباح، منشورات مجلة المعرفة للجميع، 2013، ص 161.

¹¹ د. مصطفى حجازي، الشباب و إطلاق طاقات الحياة، منشورات مجلة علوم التربية، دورية مغربية فصلية متخصصة العدد 66، شتنبر 2016، ص 99.

¹² عبد القادر العلمي، تهميش الشباب، رسالة لنيل دبلوم السلك العالي، المدرسة الوطنية للإدارة العمومية الرباط، 1988، ص 12.

- إن مسألة تهميش الشباب في المجال السياسي لا يمكن فصلها في مجتمعاتنا العربية عن مختلف البنى والهياكل الاجتماعية القائمة، والتي ما تزال تنسم في الغالب بـ"بهيمنة" العقلية الأبوية" على مجمل العلاقات والتنظيمات والمؤسسات والأجهزة المكونة للنسيج المجتمعي العام مثل: الأسرة، المدرسة والمؤسسة الإدارية... إلخ. ولذا فإن بعض التحليلات السوسيولوجية المعاصرة ترى أن المجتمعات العربية لم تنتج إلى حد الآن مجتمعا حديثا أو عصريا، سواء بالمفهوم الماركسي للحدث (ثورة تغيرية جذرية في أساليب وعلاقات الإنتاج تقطع مع العلاقات الإقطاعية التقليدية)، أو بالمفهوم "الفيري" (عقلنة وترشيد وتحديث العلاقات التنظيمية والإنتاجية في إطار مجتمع رأسمالي حديث). بل أن سيرورة التحديث لم تنتج في المجتمعات المعنية حسب تعبير د. هشام الشراي "سوى أبوية مستحدثة أفسحت المجال لترسيخ جذور التبعية والتخلف أكثر مما ساهمت في تحقيق التنمية والحدث"¹³. ولعل في هذه العوامل مجتمعة ما يفسر المشاركة الخجولة للشباب في مضمار العمل السياسي، إذ غالبا ما يظل التعامل مع الشباب في هذا المجال تعاملًا نفعيًا ومناسباتيًا لا تنتظمه رؤية متكاملة. ويؤكد هذا المعطى أننا ما زلنا في مجتمعاتنا العربية عامة بحاجة إلى بلورة ثقافية سياسية جديدة تقطع مع العقلية العشائرية والقبلية والزبونية... وتكرس أساليب جديدة في التنظيم والهيكلة وعقلنة المشاركة الإيجابية الفاعلة، لا في الميدان السياسي فحسب، بل في مختلف المجالات الاجتماعية الأخرى. وإذا كنا نجد في المغرب على سبيل المثال أن بعض المنظمات السياسية قد قطعت أشواطاً لا بأس بها في تأطير الطاقات الشابة وتوجيهها في الفكر والممارسة، فإن ذلك لا يمكن تعميمه على باقي المنظمات والهيئات السياسية، ذلك أن ما يهيمن على علاقات الشباب بها وعلاقتها بالشباب هو التعامل البراجماتي والمصلحة الظرفية وضيق الأفق السياسي، كما أن التحول الذي عرفه الخطاب السياسي حالياً- الرسمي و غير الرسمي- والذي يؤكد على الاهتمام الخاص بالشباب وإدماجه في العمل السياسي، ما يزال لم يستكمل بعد في الظروف الراهنة شروط بناء إستراتيجية عملية لتحقيق هذا الإدماج و توظيف الطاقات الشبابية لتدعيم الإنماء السياسي والاجتماعي المتكامل.

¹³ د. هشام شراي، النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.

خلاصة

ما نستخلصه من هذه القراءة النظرية التحليلية هو أن "أزمة الشباب" هي في التحليل النهائي "أزمة مجتمع" أي أزمة بنيوية وشمولية وليست "أزمة قطاعية" خاصة فقط بالفئات الشابة. ولذا، فإن المسألة الشبانية في مختلف أبعادها ودلالاتها السوسولوجية والاقتصادية والتربوية... هي مسألة اختيار اجتماعي وسياسي شامل. إن الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشباب، سواء في المجتمع المغربي أو في المجتمعات العربية والثالثة، تعود في جذورها العميقة، إلى غياب منظور اجتماعي وتربوي وتعليمي موجه، وبالتالي إلى عدم توفر هذه المجتمعات على "مشروع مجتمعي" متكامل واضح المقاصد وناظم لكل المجتمعي، كما يخطط فيه لمختلف قطاعات ومجالات المجتمع، يخطط فيه أيضا للشرائح الشابة، وذلك بهدف استدماجها الإيجابي في محيطها الثقافي الاجتماعي والاقتصادي وتوفير الشروط الملائمة لتحفيزها وتفعيلها لتصبح أكثر استعدادا وقدرة على العطاء والمساهمة المبدعة في إنجاح مسيرة التنمية والتحديث.

- قائمة المراجع

- 1- Pierre Bourdieu, la jeunesse n'est qu'un mot, en question de sociologie, Ed. minuit, Paris, 1984.
- 2- د. عبد الرحيم العطري، سوسولوجيا الشباب المغربي - جدل الإدماج و التهميش - طبعة أولى، مطبعة طوب بريس - الرباط، 2004.
- 3- ندوة: الشباب و المجتمع في البلدان المغاربية، 11-13 دجنبر 1991، منشورات كلية علوم التربية، الرباط.
- 4- مجموعة باحثين، نفس المرجع السابق.
- 5- د. رشيد بكاج، الطفل أي مشهد سوسيوثقافي؟ الندوة الوطنية الخامسة، الطفل المغربي إلى أين؟ منظمة الكشاف المغربي (ب. ت.).
- 6- Jamil Salmi, Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc, Ed. Maghrébines, Casa, 1988.
- 7- عبد القادر الزغل، الشباب العربي: مشاكلو آفاق، مجلة المستقبل العربي، بيروت 1983.

- 8- محمد مومن، دور الأسرة في التحصيل الدراسي، الطبعة الأولى، فبراير 2017، المطبعة: طوب بريس، الرباط.
- 9- عمر التومي الشيباني، الأسس النفسية و التربية لرعاية الشباب، دار الثقافة، بيروت، 1973.
- 10- عبد الله الخياري، الحراك الشبابي العربي و تحولات المرجعية الثقافية، أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد مصطفى القباج، منشورات مجلة المعرفة للجميع، 2013.
- 11- مصطفى حجازي، الشباب و إطلاق طاقات الحياة، منشورات مجلة علوم التربية، دورية مغربية فصلية متخصصة، العدد 66، شتبر 2016.
- 12- عبد القادر العلمي، تهميش الشباب، رسالة لنيل دبلوم السلك العالي، المدرسة الوطنية للإدارة العمومية، الرباط، 1988.
- 13- هشام شرابي، النظام الأبوي و إشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.